



الطوبونيميا ودورها في تحديث التاريخ

Toponymy and its role in modernizing history

أ. خديجة ساعد

دار النشر "أنزار"

anzaredition@yahoo.fr

الملخص

تُعد الطوبونيميا مجالاً مهماً لفهم الماضي والهوية والذاكرة الجماعية، لأنها تجمع بين اللغة والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم. كما تؤكد أن ارتباطها بالتاريخ وثيق، إذ يساعدان معاً في كشف أسرار المجتمع وثقافته ومعتقداته وتحولاته. وتشير أيضاً إلى أن تغير أسماء الأماكن في الجزائر وشمال إفريقيا يمس الهوية ويشوّه الحقائق التاريخية. لذلك تهدف الدراسة إلى إبراز دور الطوبونيميا في تصحيح الأحداث التاريخية واستنطاق ماضي المجتمع بدقة أكبر.

الكلمات المفتاحية: الامازيغية، تاريخ، المكان، اوراس

Abstract:

Toponymy is an important field for understanding the past, identity, and collective memory, because it brings together language, history, geography, and other disciplines. It also emphasizes that its connection with history is very close, as together they help reveal the secrets of society, its culture, beliefs, and transformations. It likewise indicates that changes in place names in Algeria and North Africa affect identity and distort historical facts. The study therefore aims to highlight the role of toponymy in correcting historical events and examining the past of society with greater precision.

Keywords: Amazigh, History of the place, Aurès



مقدمة

تمنحنا الطوبونيميا فضاءا شاسعا للتواصل مع الماضي و التصالح مع الحاضر والتطلع الى مستقبل أكثر انسجاما مع الذات والهوية، فهي ذلك الحيز الجغرافي و البنك اللغوي والشاهد التاريخي الذي يحفظ ذاكرة الأمة ويبقيها حية نابضة.

ظهر علم الطوبونيميا في القرن العشرين كعلم مستقل بذاته له أسسه وقواعده وأدوات بحثه، بعد أن كان عبارة عن ومضات وإشارات في كتب الرحالة والمؤرخين، هذه الاستقلالية أحدثت بلا شك إنقلابا كبيرا في الأبحاث اللسانية و سمحت بإعادة قراءة الحدث التاريخي بطريقة أكثر دقة ومنهجية. فالطوبونيميا او علم الأماكنية جاء ليهتم بأسماء الأماكن دراسة وتحليلا، من حيث صياغتها ومعناها وتطورها، وذلك بالاعتماد على عدد من الحقول المعرفية، كالتاريخ، اللغة، الأنثروبولوجيا والجغرافيا . كما يتطرق هذا العلم إلى التغييرات الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والسياسية التي طرأت على المجتمع عبر مختلف الحقب التاريخية، وذلك من خلال ماهية المكان وتسميته الطوبونيمية .

لفظ الطوبونيميا من أصل إغريقي ، ويتكون من جزئين :

- Topo : ويعني الأرض (المكان) .

- Onoma : ويعني الاسم .

ومنه تعني التسمية اسم المكان، ويطلق عليه أيضا إسم علم الأماكنية، ويسمى باللغة الأمازيغية Tasmidegt وهو علم قائم بذاته ظهر في أوروبا بشكله الحالي، من خلال عدد من الأبحاث التي أجراها علماء وباحثون أوروبيون .

إن التنوع البيئي الذي يحيط بالإنسان من خلال التضاريس والمناخ والنبات والحيوان، وكل ما يمت له بصلة من حركة عمرانية واقتصادية واجتماعية، جميعها لها الأثر الفعال على الصيغ المختلفة للطوبونيميا. ولذلك يشمل هذا العلم عددا من الأنواع التي تنضوي تحت جناحه كما أوردها الأستاذ أكلي حدادو في كتابه¹ وهي :

- الهيدرونيم (Hydronyme) والذي يدرس أسماء أماكن المياه كالوديان والبحيرات والآبار مثل:

¹ 16 Mohamed Akli Haddadou, Dictionnaire toponymique et historique de l'Algérie, p



Tit تيط (عين)، Ixzer إغزر (نهر)، Igelmamen إقليمامن (أحواض)

- الأورونيم (Oronyme) ويهتم بالمرتفعات والقمم مثل: Icc إش (قمة)، Ixf إخف (رأس)، Adrar أدرار (جبل)

- الأودونيم (Odonyme) هذا التصنيف يختص بالمسالك والمنافذ، والشوارع والمعالم التاريخية مثل:

Abrid n Ujellid أبريدن أوجليد (طريق الملك، يقع ببلدية تكوت ولاية باتنة)، imedrasen. إيمدغاسن (الضريح الملكي النوميدي بولاية باتنة)

- الإجيونيم (Hagionyme) والذي يهتم بأسماء الأعلام ذات البعد الديني والروحاني مثل:

Sidi Belxir سيدي بلخير، Sebergud سبع رقود، هذا النوع غالبا ما يكون مقترنا بلفظ عربي بسبب التأثير الديني في المجتمع، وتربطه علاقة وطيدة بالأنثروبولوجيا.

1- أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء نظرة معمقة على مدى ارتباط الطوبونيميا بالتاريخ بشكل مباشر، وكيف يتكامل هذان العلمان في إعادة صياغة الوقائع بمنظور جديد يعتمد على الدليل اللغوي المقرون بالرواية، وكيف يمكننا استغلال الطوبونيميا في تصويب الأحداث سواء بالنفي أو التأكيد، ثم كيف يمكن للباحث الغوص في ماضي المجتمع، طريقة عيشه، معتقداته، تركز القبائل ومجالات توسعها، وفي لغات وثقافات مرت بالمكان وتركت بصمتها التي يجب استنطاقها من جديد لنعيد كتابة التاريخ على أسس علمية أكثر أمانا.

2- البحث الطوبونيمي، أهميته ودوره العلمي

يتسع مجال الطوبونيميا ليشمل التغييرات التي طرأت على حياة الشعوب من الناحية الثقافية، الاجتماعية، السياسية والاقتصادية، فهو المرآة العاكسة لكل حركية تصنعها الوقائع والأحداث المتعلقة بالإنسان والمكان، وهو ما من شأنه أن يوفر علينا الكثير من الجهد في مجال البحث والدراسة، فعلم الطوبونيميا لا يمكن دراسته إلا بحضور باقي الحقول المعرفية التي تكمله وتدعمه، إلا أنه في نفس الوقت لا يتوانى عن تقديم خدمات جليلة لنفس هذه العلوم التي تربطه بها علاقة أخذ وعطاء، ومن بين هذه الحقول المعرفية ما يلي:



2-1- الناحية اللغوية

بإمكان الطوبونيميا المساهمة في إعادة بناء اللغة من جديد وذلك من خلال حمايتها لعدد من الألفاظ التي عجز المجتمع عن تداولها والحفاظ عليها، بينما لعبت الطوبونيميا دور البنك اللغوي الذي حفظ هذه الثروة الهامة بأمانة تامة، وهو ما يمكن أن نستغله في إعادة جبر ما لحق باللغة من أضرار. فطوبونيم خنشلة مثلا ما زال يحفظ بلفظ منقرض من معظم المتغيرات الأمازيغية وهو Axencal وجمعه ixencalen والذي يطلق على الفأس خاصة في منطقة Ayt Sellam بمدينة مروانة ولاية باتنة. هذه الكلمة مرتبطة إرتباطا وثيقا بلفظ Axuni وجمعه ixuneyyen والذي يطلق في الأوراس على الشخص الذي يكرس حياته لخدمة الزاوية وإمامها أو أحد شيوخها. وهي من الجذر XN الذي تبدأ بها كلمة خنشلة، بينما كلمة " Cal " تعني التربة، والمعنى الكلي خادم التربة، نفس المعنى يتعلق بالتسمية التي نجدها في اللغة الفرعونية من خلال إسم " أخناتون Axnatun " التي تعني المخلص للإله أو خادم الإله، فاللغة المصرية ذات مصدر حامي مثلها مثل الأمازيغية التي تعني بها هذه الكلمة Axuni , Xen الخادم المخلص، ومنها نستشف بأن معنى طوبونيم خنشلة يدل على الأرض الزراعية أو التي تمت خدمتها².

كل هذا الترابط اللغوي تفاجئنا به الطوبونيميا، لتعمل بذلك على إعادة اللحمة بين الكثير من المفردات التي نعجز عن ربطها ببعضها البعض بآليات مختلفة.

2-2- الناحية التاريخية

تشكل الطوبونيميا الذاكرة الجماعية للأمة، والدليل الملموس من أجل البرهنة على التجذر التاريخي للإنسان المالك الأصلي للأرض، فهي تدعم إحساس الفرد والمجتمع بالإنتماء الحضاري لمحيطه، وتمنحه الثقة والاعتزاز بهذا الموروث الثقافي. فالطوبونيميا واجهة حية لذلك التفاعل التاريخي بين الإنسان والمجال الذي يعيش فيه، فمن خلال الجسور القوية التي تربط الطوبونيم بالحدث التاريخي، يمكننا إستنطاق ذاكرة المكان ما يدعم تصويب أو تأكيد أو نفي الحدث التاريخي المرتبط به من خلال هذا العلم إن وجود تسمية مثل "ايمدغاسن" أي الضريح الملكي النوميدي بولاية باتنة، وتسمية أخرى هي "لبرانيس" بدائرة جمورة ولاية بسكرة وهي اقرب إلى ولاية باتنة، وبمقر البلدية أي جمورة يقع ضريح قديم جدا يسمى "برنس Burnus"، تحدث عنه الباحث محمد الصغير غانم في كتابه وذكر بانه مبني بالحجارة وقد يعود الى

² خديجة ساعد، الطوبونيميا الأمازيغية، أسماء وأماكن من أوراس، دار النشر أنزار الجزائر، ط1 2017، ج1 ص153



فترة ما قبل التاريخ ويسمى أيضا سبع رقود³. إن وجود هذه التسميات الثلاث "امدغاسن وبرنس" في منطقتين متقاربتين في الحقيقة يطرح أكثر من سؤال عن مصدر التقسيم التاريخي للأمازيغ كبرانس وبتر . هناك أحداث تاريخية بإمكان الطوبونيميا أن تؤرخ لها مثل "مرز ايزومام Merz Izumam" أي (محطم القلل) وهو يؤرخ لمعركة طاحنة بين قبيلتين ببلدية مزيرعة ولاية بسكرة، دون أن ننسى الكم الهائل من المواقع الجغرافية التي تحمل تسميات لقبائل كان لها دول واثار عبر شمال افريقيا، وشخصيات تركت بصمتها عبر التاريخ وخلدت اسمها في المكان والزمان .

2-3- الناحية الإيكولوجية:

في كثير من الأحيان توفر لنا الطوبونيميا صورة وافية عن مناخ المنطقة - موضوع الدراسة - في الزمن الغابر والذي قد يتغير إلى نقيضه بعد قرون مثل: "أسير الغلغ Asrir ilexlex" أي (المكان المنبسط والرطب) وهو موجود ببلدية مزيرعة ولاية بسكرة تالمات، " تالمات Talmadt" أي (المرج الصغير) وهو موجود بعدد من مناطق الأوراس، وجلبها لا تحمل حاليا نفس الصفة من الاخضرار والرطوبة ووفرة المياه ، بعد تغير المناخ في السنوات الأخيرة .

كما يمكن لهذا العلم أن يقدم خدمات جليلة للمصالح الهيدروليكية المكلفة بالتنقيب عن المياه، بحيث توفر دليلا قائما على وجود المياه في موقع ما من خلال تسمية المكان، خاصة مع التغيرات المناخية التي شهدها العالم مؤخرا، فنجد : "أنو Anu" (البئر) ، " تانوت Tanut" عين الماء، " إيقلمامن Igelmamen" أي (أحواض المياه).

إضافة إلى هذا فالطوبونيميا تلعب دور حافظ البصمات، وهي تقدم لنا صورة مفصلة عن الغطاء النباتي الذي كان مختلفا عما هو عليه اليوم، بحيث نجد تسمية Trubya (نبات الفوة Garance) والذي سُمي به جبل تروبيبا بولاية تبسة، ووجوده بمنطقة ما، يدل على المكان الرطب كثير المياه، كذلك تسمية "Tidmamin" تيدمامين" التي تطلق على أشجار الزعرور البري Aubépine والذي أنقرض من معظم المناطق بداية من ثمانينيات القرن الماضي.

نفس الشيء ينطبق على التنوع الحيواني، خاصة ما يتعلق بالحيوانات المنقرضة من المنطقة مثل الأيائل والأسود والنمور فنجد تسمية " Axennaq n weksel" أخناق ن وكسل" أي (مضيق النمر) في بلدية عين زعطوط

³ محمد الصغير غانم، تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية ص 19



ولاية بسكرة و " Aqdiḥ n wudaden أقديح ن ووذاذن " ببلدية غسيرة ولاية باتنة ويعني (حوض الأيائل) وهذه الحيوانات تعتبر اليوم بحكم المنقرض .

من الناحية الجيولوجية يمكن للباحث أن يتعرف على تكوينات الصخور والجبال وتواجد المعادن من خلال تسميات الأماكن، فتسمية ملوجة " Melluja ملوجة " المنتشرة عبر عدد من المناطق تشير الى التربة البيضاء⁴ و " Tarcwin تارشويين " ببلدية تاكسلانت ولاية باتنة، لها دلالة على الصخور الرملية المتآكلة، كذلك " Abeqqa n Tlaxt أبقان تلاخت " أي (مكان الغضار) ببلدية مزيرعة ولاية بسكرة والذي يدل على نوع التربة الغضارية .

4-2-الناحية الأركيولوجية

تطبع بعض التسميات بميزتها العمرانية وما يتصل بها من قلاع وحصون مثل " قصر بلزمة Qser Bellezma " و " rasru غاسرو " أي (القلعة والقصر) وهذه التسميات هي إشارات واضحة إلى إزدهار الحياة وإبداع الإنسان عبر التاريخ، كما قد تكون دليلا على موقع أثري مثل Cir (الأثر العمراني)، " Hencir هنشير " (الكوم الترابي) والذي غالبا ما يخفي بقايا عمرانية لحضارات مرت بالمكان، وتركت بصمتها التي يمكن استنطاقها في مجالات التاريخ والهندسة المعمارية ، التي تم تصميمها خصيصا لتلائم مناطق دون أخرى .

5-2-الناحية الاجتماعية والإثنولوجية :

بعض التسميات تدلنا على طرق التنقل ماضيا، والتي تم إهمالها لاحقا، وهو ما يلفت الانتباه إلى أهمية بعض المناطق واستراتيجيتها، خاصة لدى المؤرخين الذين تمكنهم تلك المعطيات من إعادة بناء تصورهم عن الحركة التي كانت سائدة خلال قرون خلت، وعن وضعية بعض المدن من الناحية الاجتماعية والاقتصادية. فنجد مسالك تحمل تسميات مثل :

" أبريد اوجليد Abrid n Ujellid " أي (طريق الملك) و " زلاطو Zalatu " أي (الممر) وهي تقع ببلدية تكوت ولاية باتنة.

هذه التسميات تمكننا من الحصول على إشارات هامة لتنقلات الأفراد والقبائل والجيش، عبر مسالك وطرق أصبحت مهملة حاليا، وهي بذلك تشكل مفتاحا مهما لحل الكثير من الألغاز المتعلقة بالهجرات البشرية من منطقة إلى أخرى.

⁴ خديجة ساعد، الطوبونيميا الأمازيغية ، أسماء وأماكن من أوراس ، دار النشر أنزار الجزائر، ط 1 2017، ج 1 ص 220.



هذه الحركية أيضا تتضح من خلال التسميات التي تتعلق بالقبائل الأمازيغية، وأماكن تواجدها وتوزيعها الجغرافي ماضيا وحاضرا، فنجد من ذلك تسمية مزاتة Mzata وهي قرية قرب مدينة أريس ولاية باتنة، ونفس التسمية نجدها في مصر " مزاتة شرق "، وهي أماكن إستقرت بها قبيلة مزاتة الأمازيغية سواء في الأوراس أو في مصر، وهو ما أورده ابن خلدون في كتاب العبر⁵. كذلك طوبونيم سدراتة Sedrata والذي يتواجد بعدة نواح من الجزائر كسوق اهراس وورقلة، وكذا كتامة بولاية جيجل وزناتة بولاية قالمة، وجيملة بولايتي جيجل وسطيف وغيرها كثير جدا .

انطلاقا من هذه التسميات يمكن تتبع أثر هذه القبائل في إستقرارها وهجراتها و حروبها عبر عدد من المواقع التي لا تزال تحمل أسماءها عبر كامل تراب الوطن بل وكل شمال افريقيا .

الطوبونيميا والتوثيق للتاريخ

تشكل الطوبونيميا الذاكرة الجماعية للأمة ، والدليل الملموس من أجل البرهنة على التجذر التاريخي للانسان ، فهي تدعم إحساس الفرد والمجتمع بالانتماء الحضاري لمحيطة، وتمنحه الثقة والاعتزاز بهذا الموروث الثقافي، هذا عدا عن البصمات التي تركها كل من مر بهذه الأرض من وافدين ومستعمرين خلفوا شذرات من ثقافتهم وحضارتهم عبر تسميات أماكينية تخلد ذكراهم وتواجههم بكل ما تحمله الكلمة من تناقضات ، ومن سلبيات وإيجابيات . إذن فالطوبونيميا واجهة حية لذلك التفاعل التاريخي بين الانسان والمجال الذي يعيش فيه ، فمن خلال الجسور القوية التي تربط الطوبونيم بالحدث التاريخي ، يمكننا استنطاق ذاكرة المكان لدعم او تصويب او نفي الحدث التاريخي من خلال هذا العلم .

إن المجتمع غالبا ما يختلق اجوبة لتساؤلاته الصعبة ، في غياب الدراسات الحقيقية للمختصين والباحثين ، ولذلك يعتمد الى نسج الحكايات والروايات التي تتماشى مع موروته ومعتقداته ومعرفته للوصول الى الإجابة المقنعة ، هذه الاجابات تتداخل أحيانا مع الحدث التاريخي عن طريق الرواية المتوارثة، ما يخلق تناقضا عميقا يصعب فيه الفصل بين الحقيقة و المنطق من جهة وبين الرواية والواقع من جهة مغايرة. من هذا المنطلق يمكننا الوقوف على عدد من الأمثلة الحية التي تبرز لنا أهمية البحث الطوبونيمي في اعادة كتابة التاريخ بنظرة جديدة قائمة على بحث ميداني يسائل ذاكرة الحيز الجغرافي ويستنطقها بطرق علمية قائمة على معارف متعددة، من أجل الاقتراب أكثر من مركز الحقيقة التاريخية سواء تعلق الأمر بدعم علمي للحدث

⁵ ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص 238

التاريخي أو نفيه بالدليل اللغوي ، وسنورد فيما يلي عددا من الأمثلة الطوبونيمية التي قاومت لقرون من أجل أن تصل الينا حية نابضة وهي اشبه بالرموز التي ينبغي تفكيك شيفراتها لقراءة جديدة للتاريخ كدليل مادي قوي عن أحداث مرت بهذه الارض ، وسنتناول عددا من المواقع والتسميات الأماكينية كأمثلة حية :

أ- كتامة، الأثروالمجال الجغرافي بأوراس

يحدد المؤرخون الحدود الجغرافية لقبيلة كتامة من قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل أوراس من ناحية القبلة ، وعن مجالات تقلهم بايكجان ، سطيف ، باغاي ، نقاوس وبلزمة ... اي من حدود جبل أوراس الى سيف البحر بين بجاية وبونة كما ورد في كتاب العبر لابن خلدون⁶ غير أن توسعها الى اعماق من ذلك في الحيز الجغرافي لأوراس غير مذكور تقريبا عدا ما اورده الأستاذ الباحث بوزياني الدراجي عن تواجد عرش أث اوجانة بجبل شيليا بولاية خنشلة و الذي رجح بأنه ينتمي الى قبيلة كتامة بقوله : « وربما انتسبت اليهم فئة تسمى ورجانة وهي متواجدة في جهات جبل شيليا بالأوراس »

وغير بعيد عن هذا الرأي لا زالت الذاكرة الجماعية لسكان زلاطو واغزر املال (الوادي الأبيض) بولاية باتنة تحتفظ بروايات وقصص عن سيطرة "عرش اث اوجانة" على مناطق هامة من جبال أوراس مثل زلاطو بجنوب باتنة واشمول وارييس أيضا ، قبل ان يتم تقويض هذا التواجد من طرف حلف قبلي بين "اث بوسليمان" و"اث داود" المتواجدون حاليا بالمنطقة ، ليتركز أخيرا عرش "آث اوجانا" بمنطقة شيليا ولحد اليوم تحتفظ الطوبونيميا بتسمية منطقة "اغزر ن اث اوجانا" قرب شيليا ولاية خنشلة الذي هو مجال عيشهم .

هنا يأتي دور الطوبونيميا لتحل محل الحكم في كل ما سبق ذكره من رأي المؤرخين وما احتفظت به الذاكرة الجماعية للسكان، ففي مرتفعات بلدية تكوت ولاية باتنة ، يقع المكان المسمى "Mzala مزالة" ويتخلله واد صغير يسمى اغزر ن مزالة (وادي مزالة) وهي منطقة نائية غير أهلة بالسكان في الوقت الحالي.

تسمية "مزالة" نجدها متكررة في كتب التاريخ، وتنحدر من يسوذة بن كتام بن برنس، وهي نفسها مصالة، وتعتبر كفرع قبلي تابع لكتامة، هذه التسمية لا تزال تطلق على قبيلة مستقرة بضفاف وادي يداس شمال بجاية والها ينسب فج مزالة ايضا او ما يعرف بفرجية اليوم حسب ما اورده الباحث بوزياني الدراجي في كتابه القبائل الأمازيغية⁷.

⁶ ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 6 ص 301

⁷ بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية ، ج 2 ، ص 139



إن تواجد تسمية اماكينية مثل مزالة كفرع كتامي في قلب أوراس هو دليل على تغلغل كتامة الى عمق هذه المنطقة في مرحلة ما من تاريخنا كقبيلة لها نفوذها وسيطرتها خاصة مع تواجد عرش اث اوجانة الكتامي بمناطق الوادي الأبيض وزلاطو منذ قرون ليست ببعيدة وسيطرته على هذا الحيز الجغرافي الذي تقع فيه منطقة مزالة ، وهو ما احتفظت الذاكرة الجماعية بروايته واثبته الطوبونيميا كدليل على مرور كتامة بهذه الأنحاء .

ب- بوغيول

المثال الثالث الذي سنورده هو المتعلق بشخصية ملأت اخبارها كتب التاريخ ، والذي عاش في القرن العاشر للميلاد، إلا أن معاركه اقترنت بشكل لافت بجمال أوراس بالجزائر، ذلكم هو الثائر على الدولة الفاطمية مخلص بن كداد اليفرنى الملقب بـ "أبا يزيد" أو "صاحب الحمار"، الذي ينتمي إلى قبيلة زناتة، والذي ثار على الفاطميين بجمعه للقبائل الأمازيغية ليشكل جيشا قويا جاب الأراضي التونسية والجزائرية الحالية دفاعا عن مذهب النكارية الجديد المناوئ للشريعة الفاطمية. دامت ثورة مخلص بن كداد حوالي 13 سنة وقد كان للأوراس فيها ذكر، إذ يذكر ابن حماد في كتاب "أخبار بني عبيد" أن صاحب الحمار قد سار إلى جبل أوراس وفيه قوم من هواره يقال لهم بنو كملان، من أهل مذهبه فقام فيهم وقوي بهم واشتدت شوكته واستفحل أمره كما اورد البكري في كتابه⁸ : « وعلى مقربة منها - أي باغاي - جبل اوراس ... وبهذا الجبل أقام ابو زيد مخلص بن كداد الزناتي⁹ ».

فيما يخص الطوبونيميا فلقد احتفظت بتسميات تخلد ذكرى هذه الشخصية التي شغلت الناس في وقتها. إذ نجد في جبال اوراس المنطقة المسماة جبل "بوغيول" في بلدية تاكسلانت ولاية باتنة ويتبع ادرايا لدائرة مروانة .

تسمية "بوغيول" تعني باللغة الامازيغية حرفيا صاحب الحمار ، والحقيقة أن البحث عن أصل التسمية لا يوصلنا الى شخصية معينة غير "مخلص بن كداد" او صاحب الحمار ، وهذا لسبب وجيه و هو انخراط قبائل المنطقة في حروب مخلص بن كداد خاصة بنو كملان من هواره ومزاتة ، وهذا ما يرجح ربط تسمية جبل بوغيول بهذه الشخصية عبر هذا الموقع . ويدعم هذا الطرح وجود تسمية "تيسكيما" ببلدية سريانة ولاية باتنة ومن المرجح أن لبني كملان الذين سبق ذكرهم علاقة بهذا الموقع، كما يؤيد هذا الطرح وجود طوبونيم آخر باسم

⁸ أبو عبيد البكري، المسالك والممالك ، ص 569

⁹ ابن حماد، أخبار بني عبيد وسيرتهم ص 60



معرب هو "بوحمار" الذي يحمل إداريا اسم وادي الطاقة أو "إغزر ن تاققة" الواقع بولاية باتنة، ومن المدهش جدا أن نجد أن الذاكرة الجماعية في هذه النواحي لا تزال محتفظة بقصص عجيبة عما يعتقدون بأنها كرامات وخوارق بو ازيد او مخلد بن كداد والذي يسمونه "بوتغيولت" أي صاحب الأتان بصيغة التأنيث. من هنا يمكننا عبر الطوبونيميا تتبع اثار تواجد هذه الشخصية اي مخلد بن كداد أحيانا بصيغتها الأمازيغية بوغيول ، وأحيانا بصيغة معربة أي "بوحمار" مما يعطينا فكرة أكثر وضوحا عن مدى التأثير الذي تركته هذه الشخصية في المخيال الجماعي والحيز الجغرافي على حد سواء .

ج- تيزي ن ايمازيغن

ونحن نتصفح كتب التاريخ غالبا ما نجد طوبونيم "بربر" كتسمية جغرافية أكثر انتشارا للتعبير عن سكان شمال افريقيا، أما ورود طوبونيم أمازيغ أو إيمازيغن فلا يكاد يذكر، غير أن الواقع الجغرافي مختلف وهو يطرح أكثر من سؤال من الناحية التاريخية للتسمية ومدى تجذرها على أرض الواقع ، هنا لابد من ذكر الجذور الأولى لتسمية مازيغ والتي وردت في كتب المؤرخين كجد للبربر في كتاب العبر ، إذ يذكر ابن خلدون : «وان اسم ابيهم مازيغ»¹⁰

ان تسمية ايمازيغن ليست جديدة من الناحية التاريخية كما يتوهم البعض، فقد سبقت تسمية بربر بقرون باعتبار هذه الأخيرة تسمية رومانية .

وفي نقل للباحث الجزائري بوزياني الدراجي عن المؤرخ اليوناني "هيكتابيوس" فإنه قد سعى الأمازيغ بـ "المازييس Mazyes" وهذا في القرن السادس ق.م ، بينما سماهم هيرودوت في القرن الخامس ق.م "ماكسييس Maxyes"، ونقلها عنهم اللاتين بشكل محرف فسموهم "مازاس Mazaces" ، مازكيسا Mazax " و "مازيكسي Mazikes"¹¹ أما الفراعنة فأطلقوا عليهم تسمية ليبو، تحنو، ماشوش والأرجح أن الفظة الأخيرة هي تحوير للفظ مازيغ الحالي .

أما ما يخص الطوبونيميا فلقد احتفظت لنا بتسمية ذات علاقة بهذا المعنى ، إذ تقع منطقة تيزي ن ايمازيغن ببلدية عين زعطوط بولاية بسكرة في مخرج المدينة المؤدي الى جمورة ، وقد وردت تسمية تيزي ن ايمازيغن ضمن مخطط الاهالي المصادق عليه من طرف ادارة حاكم حوز عين التوتة خلال عام 1883، ولا تزال الذاكرة الجماعية تحتفظ بالدور الاستراتيجي لهذا الموقع ابان الاستعمار الروماني الرومانية .

¹⁰ ابن خلدون، كتاب العبر، ج 6 ص 191

¹¹ الدراجي بوزيان، ج1، ص 20.21



إن الرجوع الى ايتمولوجية التسمية يحيلنا الى الجذر اللغوي م.ز.غ والذي يشير الى عدة معاني منها مذكوره محمد شفيق في معجمه فلفظ مازيغ يعني المدافع الشرس على ارضه كما تعني والفخور بنفسه ديدعي الانسان النبيل أمازيغ¹² بينما يعني لفظ "اموجع" الرجل النبيل والرجل الشجاع في لغة توارق¹³ ولا يزال سكان اوراس يستعملون لفظ "امزع" للدلالة على الفخر والاعتزاز¹⁴. هذا عدا أن لقب تمازيغت ومازيغ لا يزالان منتشران في كل من تونس والجزائر خاصة في وادي سوف وتيزي وزو، وفي المغرب نجد ضمن قبيلة احاحان لقب ايت مازيغ، وقرية ايت مازيغ أيضا بقليم ازلال الساحلي بالمغرب، ومازيغا بالجنوب التونسي، اولاد مازيغ بغدامس ليبيا. من خلال كل هذه الاشارات يمكننا تفنيد بعض الأراء التي ترفض تسمية الأمازيغ باعتبارها مستحدثة، لندرك مدى تجذر لفظ مازيغ في الثقافة واللغة المحلية قبل دخول الرومان الى شمال أفريقيا، فهي تسمية محلية بامتياز أطلقها السكان على انفسهم ويأتي هذا الطوبونيم ليدعم عددا من المراجع التاريخية التي ذكر من خلالها لفظ مازيغ وتمازيغت كلغة وأيمازيغن كعرق بشري سكن شمال أفريقيا منذ عصور سحيقة.

الخاتمة

في معظم دول العالم تعتبر الطوبونيميا موضوع بحث مستمر وخاصة بالجامعات، وبعض المؤسسات الرسمية، فهي ليست قضية إرث ثقافي فقط، بقدر ما هي مسألة سيادة وطنية، وهي بمثابة علامة خصوصية لتاريخ دولة وحدود لشخصيتها.

من هنا لا بد من التفكير في استحداث آليات ووسائل جديدة لحماية الطوبونيميا من اي تحوير او تزوير، مع إعادة الاعتبار لها من جديد من خلال تصويب التسميات التي تم تغييرها حديثا، وهذا يتيح لنا اعتمادها بشكل جدي كألة بحث في مجال الدراسات والأبحاث التاريخية، باعتبارها ذاكرة جماعية وبنك لغوي يستحق التقدير والاهتمام، ومن المؤكد أن الأمر يحتاج بالدرجة الأولى الى إرادة سياسية صادقة، لأنه يتعلق باتخاذ قرارات ووضع قوانين إدارية لحماية الطوبونيميا من التدمير، فكل سنة تمر نفقد معها عشرات التسميات دون ادراك أو وعي بمدى أهمية المسألة، وهذا يؤثر بشكل سلبي ومباشر على هذه الواحة المشرقة من هويتنا، فالطوبونيميا لها مقدرة كبيرة على التخاطب مع التاريخ للمساهمة في صياغة الحلقات الضائعة من السلسلة التاريخية، ولمسح الغبار عن زوايا معتمة من الماضي السحيق والقريب.

¹² محمد شفيق، المعجم العربي الامازيغي، ج3 ص 185..

¹³ Mohamed Akli Haddadou, Dictionnaire des Racines Berbères communes, p136.

¹⁴ Khadidja Saad, Amawal, Tamazight-Taerabt, p115.



قائمة المراجع

المراجع بالعربية

- عبد الرحمن ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 6 ، دار الكتاب اللبناني 1968.
- محمد الصغير غانم، تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية ، مطبعة عمار قرفي باتنة .
- خديجة ساعد، الطوبونيميا الأمازيغية ، أسماء وأماكن من أوراس ، ج 1 ، دار النشر أنزار ، ولاية بسكرة 2017.
- بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية ، ادوارها، مواطنها وأعيانها ، ج 2 ، دار الكتاب العربي ، ج 2 ، 2000.
- أبو عبيد البكري، المسالك والممالك ، دارالكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان 2003.
- ابن حماد، أخبار بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة د. التهامي نقرة ، د. عبد الحليم عويس ، دار الصحوة، القاهرة.
- محمد شفيق ، المعجم العربي الأمازيغي ج 3 ، مطبعة المعارف الجديدة ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، المغرب 2000.

المراجع بالفرنسية

- Mohamed Akli Haddadou , Dictionnaire des Racines Berbères Communes, Haut commissariat à l'Amazighité 2006/2007
- khadidja saad, Amawal Tamazight-Taerabt, Editions Tira – Ministère de la culture, Bedjaia 2013 .
- Mohamed Akli Haddadou, Dictionnaire des Racines Berbères communes, éditions Achab 2012.